

مُحَمَّدٌ سَعِيدٌ الرَّيْحَانِيُّ

خَمْسُونَ

قِصَّةٌ قَصِيرَةٌ جَدًّا

الْحَمْدُ لِلَّهِ: الْعُلَمَاءُ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

<http://www.raihani.ma>

" في الحاجة إلى القصة القصيرة جدا "

بقلم محمد سعيد الريحاني

ولع أدب أمريكا اللاتينية المعاصر بالأدب العربي القديم وبالثقافة العربية-الإسلامية لا يوازيه سوى إعجاب الأدباء العرب المحدثين بروائع الإبداع الأدب الأمريكي-اللاتيني وبابتكارات الأدباء اللاتينيين ومن ضمنها **القصة القصيرة جدا** التي دخلت الأدب السردي المغربي من باب الواسع مع بداية الألفية الثالثة من خلال نخبة من الكتاب الشباب.

تبقى القصة القصيرة جدا ملتقى طرق الإبداع الأدبي المكتوب حيث يلتقي فيه **الشاعر** المحمل بالتكثيف اللغوي والصور المدهشة **بالروائي** صاحب الرؤية البانورامية و**المسرحي** صاحب الحوارات النفاذة و**القاص** الذي يبقى الأقرب من حيث الإمكانيات والمهارات إلى كتابة القصة القصيرة جدا من غيره من الأدباء الوافدين من حقول الإبداع الأدبي الأخرى.

القصة القصيرة جدا ومضة تضيء العتمة بكل الهدوجين الذي تختزنه قبل نقطة الختام على طريقة الشهب والنيازك في فضاء الليل: إضاءة المعتم، وتذكير بالمنسي، واحتفاء بالمهمش... إنها تحتفل باللحظة العابرة للإنسان العابر في أحداث عابرة...

فقد جاءت القصة القصيرة جدا كشكل سردي وليد نتيجة الحاجة الدائمة لدى المبدع لتجريب إمكانيات جديدة للتعبير عما يصعب التعبير عنه بالأدوات والشروط السردية المتوفرة. فكل فكرة تجسّد فني ملائم من خلال الاختيار الواعي للجنس والنوع والشكل الأدبي الملائم. والقصة القصيرة جدا تقي بالعرض حين يتعلق الأمر بالإدهاش دون **إطناب** وبالإدهاش دون **تقرير** وبالإدهاش دون **وعظ** وبالإدهاش دون **تهريج** وبالإدهاش دون **تنويم**... إنها سلبية ثقافة **المينيمالية** وسلبية عصر السرعة من خلال اعتمادها القوي على **الاقتصاد كأحد أهم دعوماتها: اقتصاد اللغة واقتصاد المساحة واقتصاد الدلالة**... ولذلك يبقى عدو القصة القصيرة جدا هو **السطحية في الفكر، والإطناب غير الوظيفي، والتعلق بالتفاصيل**...

ولذلك، يمكن إجمال خاصيات القصة القصيرة جدا في: **التكثيف الشديد والغموض المغري بالاستكشاف والإدهاش المغير لأفق الانتظار والقصر المبالغ فيه وشعرية اللغة**... وربما كان صغر حجم القصة القصيرة جدا أبلغ من باقي الأجناس السردية في التعبير عن **صغر الإنسان** في عالم يتعاضم ويتعقد باستمرار، أو كان اختيار الكتابة في القصة القصيرة جدا شكلا صامتا **لمناهضة البطولية والملحمية والعنتريات**، أو كان اختيار القصة القصيرة جدا **انتصارا للفرد وللفرديّة**...

لكن في جميع الحالات، لا يفف الاعتراف بالقصة القصيرة جدا كرهان من رهاناتها. إنما الرهان الحقيقي للقصة القصيرة جدا هو **إمتاع القارئ والحظوة باهتمامه**.

الفقرس

الباب الأول: أول القراء، الكتاب

- ١. الصبيب الكايمري
- ٢. مصصفي يعلى
- ٣. صممك تنغو
- ٤. عبد الله المتقي
- ٥. نور الدين صمق
- ٦. زهور كرام

الباب الثاني:

- ممنوع العلم
- فنائة
- رحلة إلى الأعماق
- لا أحد يراني
- مرآة الآخريين
- وحدة وجود
- الجنس الخامس
- نبوغ
- فراسة
- غلا دياتور
- البحنون
- بؤيا غمر
- تفاحة نبوتن

تحكيم
القيامة الآن
غور
لاله كنز
مراتب الغش
أيوب
الصاغية والشاعر
كاميرا قيس
بلا جدران
تواصل
إغراء الأعلالي
لكل حلمه، لكل مباراته
غابة
رحلة العلم بجواب يروي عكش السؤال
عصا موسى
ميراث أبي نواس
الكابوس الكرى ألهمني نصا
النار والفكر
ممنوع العلم
عاشق العربة والعلم والحب
كألوني عليها
العلم الكرى تحقق
رؤيا
بائع الأحلام
بائع تفاسير الأحلام
خاتم سليمان
المرأة التي حكمتها مصر
قلب الأسد وقلب الفراشة
بساط الرياح
نادي جلال الدين الرومي
حوار بين الكتاب والصورة
العلم المتناهة
خمس قصص قصيرة جدا بعنوانين بصولة جدا

البداية الأولى:
أول القراءة، الكتاب

محمد سعيد الريحاني

ومهمة البحث عن النص الأقصر في درجاته القصوى الممكنة

بقلم الناقد والروائي والقلبي المغربي الدكتور الصيب الكايمري

لكأنه يقتدي بالشاعر عروة، في توزيع ذاته في ذوات كثيرة، ويسرق قيس الإبداع، والنار حارقة وهاجة. فمنذ أن بزغ نجمه أواسط تسعينيات القرن الأقل، ومحمد سعيد الريحاني لا يلتفت خلفه إلا لاستيحاء واقعة أو ذكرى، فيما نظره يظل مشدودا، باستمرار، إلى أطراف هاربة، حرون، يبغى الإمساك بها، حين لا حيلة، عبر حيل اللغة التي لا تنتهي يراودها، شعرا هو الحكاء، يراودها نثرا وفي الضفتين، إبداعا ونقدا، ورقيا وعلى أودية السيليكون من غير كلل، كما لو كان في سباق مع نفسه ومع الزمن. وحين لا تسعف المرادة يرتئيا "مراوضة" وترويضاً بكل القسوة اللازمة التي يحق للمبدع أن ينهجها إزاء اللغة والتخييل.

فكما كان لاسمه الثلاثي، الذي ألفه القراء مع الوقت، رنين مشرقي مخصوص، كانت صورته الشفيفة، التي رافقت نصوصه، هنا وهناك، توحى، من جهتها، بذكاء ثاقب وحجل تخفيه نظرات طبية ولا تخفيه. أما انشغالاته المتواترة فبعدد أحلامه التي لا يتسع لها مدى. من ثم رأيناها لا يني ينحت في اللغة وفي الفكر، يخطط سبلا يراودها أن تكون غير مسبوقة في الرؤية كما في الصوغ الفني.

هكذا، وفي ظرف عقد من الزمن أو يزيد قليلا، وهو ظرف وجيز نسبيا، استطاع محمد سعيد الريحاني أن يفتقد له مكانة محترمة بين كتاب يفوقونه سنا وحنكة، لا بعدد مؤلفاته وحسب بل وبسعة الأفق وطول النفس والرغبة الجموح في تجاوز الذات، الأمر الذي جعل كثيرا من الصحفيين يطلبونه لإجراء حوارات أو أخذ تصريحات تهم الواقع والمخيال، المعيش والمكتوب معا. ولعل هذه الحوارات الغنية والمتشعبة وحدها قد تصلح مادة للتأمل والبحث، ناهيك عما كتب عن صاحبها من المقالات والدراسات في كتب أو موسوعات عالمية...

لم يأت كل ذلك بمحض مصادفة أو أوضاع استثنائية مميزة. فالفتى لم يولد وبين أنامله يراع من ذهب، وفوق ذلك لم يولد في "مركز" قد يسهل عليه مأمورية التسلل وفق اعتبارات غير اعتبارات الكد والعمل والمؤهلات الحق. فكل ما حققه ويحققه أتى عن عزيمة وموهبة ما فتئت تصقل بالمثابرة والإخلاص. لقد نشأ وتربى في مدينة صغيرة، مدينة القصر الكبير شبه المنسية وانتزع مكانه تحت شمس الكتابة في صمت بليغ وخاض معارك ضارية وبجراحة نادرة دفاعا عن حقوق مهنية لا تقبل التفتيت وحفر في محاتد لها صلة بالإناسة والسيما والفن والفكر عموما. كما تجند للتعريف بالأدب المغربي، وبالقصة القصيرة تحديدا، قطريا وعربيا وعلى الضفاف الأنجلوسكسونية. وقد قام بمجهودات، في هذا الصدد، لم تبذل مثلها مؤسسات يفترض فيها السهر على الشأن الثقافي والترويج للعبقرية المغربية.

كل ذلك يتم لديه بإمكانيات، وتضحيات، فردية محضة، وبعشق لا يضاهي للحرف المغربي وناسه. سيما وأن محمد سعيد الريحاني، إلى جانب خصوصيات أخرى، مجترح المفاتيح و"ثالوث الحاءات: حاء الحب، وحاء الحلم، وحاء الحرية"، ذات التقسيم النافذ والبديع. والعمل هذا، فضلا، عن كونه برنامجا طموحا في بعده الأنطولوجي، بالمعنى الوجودي وانتخاب النصوص في أن، مشروع تنظيري نسقي يبغى ربط التنظير النقدي

بالممارسة الإبداعية، والنقد بالمنجز النصي. سواء في انتقاء النصوص حسب معايير صارمة و محددة لترجمتها وتقديمها، أو في كتابة نصوص والتفكير فيها عبر تيمات وخيوط ناظمة في تجسيديات تجعل من المجموعات القصصية "مجموعات قصصية" لا مجرد إضمادات نصية لا تربطها روابط عضوية كما هو الحال لدى كثير من الكتاب.

وعليه، يغدو فعل الكتابة غائيا وله مرجعيته النظرية الصلبة وهو مسعى يجعل الكتابة مرتبهة لقيم وجماليات واعية، مخطط لها مع سبق ترصد وإصرار، ويجعل من قراءتها أفقا للحوار الخصيب، ومراهنه على معرفة وإمتاع. ولعل الكتابة بالتييمات في المجال القصصي، وهو أمر نادر في المدونة السرديّة المغربيّة، يذكرنا بالأسئلة التي انكب علي تفكيكها ميلان كونديرا في أعماله الروائية (الخفة، الضحك، الجهل، الخلود، البطء، إلخ)، وتبعاً لذلك فإن محمد سعيد الريحاني، حين يكتب، بلغات وصيغ مختلفة، هو يبحث عن نص أقصى ووحيد في درجاته القصوى الممكنة. إنه يكتب نصه الخاص والمتفرد، تارة في كتاب قصصي يؤلفه أو ينتخبه أو يترجمه، وتارة في سفر فكري تحليلي وتأملي. التوسلات شتى والمقصد واحد: ولا بد من كتابة النص المأمول وإن شقت الرحلة وطال السفر!

الدكتور **الحبيب الدايم ربي** ناقد وقاص وروائي مغربي من مواليد 1955 بإقليم الجديدة، غرب المغرب. صدر له: "المنعطف" (رواية)، "حروب صغيرة" (مجموعة قصصية)، "طاحونة الأوهام" (مجموعة قصصية)، "زهرة الأقبان" (مجموعة قصصية)، "زريعة البلاد" (رواية)، "الكتابة والتناص" (دراسة)، "نصوص مترابطة" (دراسة)...

الباب الثاني

خمسون قصة قصيرة جداً

ممنوع العلم

أنا لا أحم.

هذه هي القناعة التي تشبعت بها وكبرت عليها ولكن لا أحد يثق بي أو، على الأقل، لا أحد يصدق قولي. فمباشرة بعد سماع تصريح، يكثر حولي العلماء وحفظة الاكتشافات العلمية وعشاق النفي والمعارضة والتشكيك ليثبتوا لي بأن المرء يحلم في الليلة الواحدة خمسين حلما في الثواني الخمسة الأخيرة من نومه وأنه يكفي المرء عند يقظته أن يتساءل عما حلمه في نومه ليتذكر للتو آخر حلم من ذيل أحداثه فيتنبع خيط الحلم من النهاية نحو البداية حتى يتضح الحلم وينجلي لبسه...

أبي قال لي، حين سمع لأول مرة اعترافي:
- لا يمكن. ألم تحلم في يوم من الأيام شيئا من الأشياء؟!

حين أكدت بهزة من رأسي دهشته، واصل:
- حسنا، يا بني. سننتقل قريبا إلى بيتنا الجديد الواقع في حي سكني هادئ وهناك ستتصالح مع أحلامك.

انتقلنا إلى بيتنا الجديد مساء يوم الجمعة، نظفنا المكان وأثنا البيت وتناولنا أول وجبة عشاء في عنواننا الجديد قبل الخلود إلى نوم هادئ سعيد وملاقة أول حلم أجهضه الطرُق على الحائط مباشرة فوق وسادتي على الساعة السابعة صباحا من يوم السبت الموالي، بالمطرقة والإزميل...

تساءلت عن سبب ذلك فجاءني الملف كاملا غير منقوص: جارنا **الحاج علي العسكري** جندي منذ عشرين عاما لم يشارك خلالها لا في حرب ولا في عراق، ففي كل المهمات التي أسندت له لم تكن البندقية قطعة من قطعها وإنما المطرقة والإزميل وكانت وجهته هدم الأسوار وإقامة الخيام ودق المسامير في نعوش الجنود العائدين قتلى إلى أرض الوطن... وبذلك، صارت الحياة عنده، حيثما حل وارتحل، دقّ في دقّ كما صار **الحاج علي العسكري** مباشرة بعد عودته إلى البيت في عطلة نهاية الأسبوع، أول أداتين يفتش عنها من بين كل أدواته المنزلية هي المطرقة والإزميل ليباشر الطرُق على الحائط الذي يفصل غرفة نومي عن مطبخه وحمامه.

أول نقرة على الحائط صارت، مع الأيام، تعني لي بأننا في عطلة نهاية الأسبوع فكرهت العطل الأسبوعية. لكن عندما سمعت بأن **الحاج علي العسكري** سيحال على التقاعد في سن الخامسة والأربعين، تملكني الرعب فالرجل سيحترف المطرقة والإزميل حفرا ونحنا على الجدار فوق رأسي يوميا وعلى مدار الساعة!... لكن سرعان ما جاءني خبر انتخابه كاتباً محلياً لفرع قداماء الجنود المتقاعدين وهذا يعني أنه سيجد ما يلهيه عن النقر والحفر فوق رأسي أيام عمل العاملين ولكنه أيام السبت وأحيانا الأحاد كان يصبح على الإزميل والمطرقة ويمسي عليهما...

صارت أسعد الأخبار لدي هي تلك التي تبشر بسفره أيام السبت إلى البادية لجني الزيتون أو جمع مداخله إلى أن سمعت خبر انقلاب سيارة كانت تقله إلى البادية في منحرجات خطيرة فسقطت السيارة، من على بعد عشرات الأمتار، متدرجة حتى النهر فمات السائق ومات الركاب وتأخر خبر صحة **الحاج علي العسكري** لمدة أسبوع.

في أول يوم من الأسبوع التالي، كنت على موعد مع الحفر على الحائط لكن هذه المرة مع جيل جديد من الأدوات "آلة ثقب الجدران" التي صار الحاج يفضلها على المطرقة والإزميل بعد تدهور حالته الصحية نتيجة حادثة السير التي تعرض لها...

فنانه

مهمة الفنان هي رسم عالم جديد، عالم مختلف، عالم سام. وهذه بالضبط هي اللوحة التي رسمتها الفنانة الواقفة خلف حامل اللوحة قبالة الأفق المتمدد فوق البحر: فالنوافذ تتسع لتحاكي الأفق و الأبواب تنفتح لتحاكي الشمس و الصغار يلعبون ليحاكوا الأسماك و الكبار يرقصون ليحاكوا الطيور...

توقفت قليلا لتتأمل اللوحة وتحدد داخلها مكانا أنسب لصور خامة تحوم في مخيلتها.

جمعت أدوات الرسم والتلوين وشمرت عن ساعديها وكشفت عن ساقها...

اقتحمت اللوحة لترسم لوحة مغايرة عن عالم ثان أكثر سموا وأكثر نبلا وأكثر سلاما.

رحلة إلى الأعماق

أصوات من لم يركبوا عباب البحر كانت تنصحنى بعدم السباحة في أعالي مياه المحيط لصعوبتها ولوحوشها البحرية الضارية لكنني، بين أمواجه، تعرفت على الدلافين التي حملتني بالتناوب على ظهورها وهي تقفز فوق الأمواج فرحة بلقاء بني البشر سعيدة بحملي على ظهرها حتى وضعتني على ضفاف القارة المقابلة.

عادت إلى مسامعي فجأة أصوات من لم يصلوا يوماً إلى أدغال الأمازون ليتحدثوا عن وحوشه العملاقة وأشجاره العملاقة وأهواله العملاقة... لكنني وأنا اتقدم داخل الأدغال الكثيفة الخضرة، بدأت الببغاوات تحط على كتفي وتغطي ظهري بذيلها الطويل الرائع الملون بالأخضر والأزرق والأحمر والبرتقالي والأصفر...

كانت الببغاوات، بشوق الطفل الوحيد المتطلع لمن يجالسه ويلعبه، تنتظر مني كلمة لتردها أو جملة لتعيدها وتشعرني بأنني في بيتي بين عائلتي وأهلي وأن كل هذه الأدغال ما هي إلا ذاتي التي كانت دائماً تنتظر مني الاكتشاف وإعادة الاكتشاف.

لا أحد يراني

وضعوني في وسط قاعة الحفل بجانب العروس وسلطوا علي كل شيء: الأضواء ووجهة المقاعد ونظرات العيون...

العزّاب من الضيوف كانوا ينظرون بغيرة إلى تشابك يدي بيد العروس...

المتزوّجون من المدعوين كانوا يتذكرون من خلال حفل زفافي حفل زفافهم قبل ثلاثين عاماً خلت...

الصّلع من الحاضرين كانوا يتفرسون شعري ويقدّرون بداية تساقطه والجهة التي سيبدأ منها السقوط والتساقط...

الدُّردُّ، من أقصى زوايا قاعة الحفل، كانوا يحسبون لي أسناني ويبرّرون صحتّها بابتعادي عن التدخين والكحول...

الشّيب كانوا يتصيّدون اللون الأبيض في شعري ويحسبون شعيراته...

تجار الألبسة كانوا يقيمون ثمن بدلتني ورباط عنقي وزوج أحذيتي...

المتأزمون نفسياً كانوا يبحثون في حركاتي وإيماءاتي عن مفتاح يقودهم إلى إسقاط أزماتهم على حركاتي وسكناتي...

الجميع يتفرسني... ولا أحد يراني.

مرآة الآخريين

سقط الرجل على الأرض وعلى وجهه علامات الدوار.

اتكأ على الجدار ليستريح قرب أرجل المارة على قارعة الطريق.

نظر إليه الرجل الأول من بين المارة على الرصيف وكان فاقع اللون سقيماً تقطر العلة من أنفه المحدث فقال:

- لكم هو بخيل هذا الرجل! عوض الجلوس على كرسي في مقهى يقصد الأرصفة ليتمدد عليها...

نظر إليه الرجل الثاني وكان يحمل على وجهه جينات البلادة والتخلف وقال:

- ما هذه البلادة؟ أتعقد أنك بهذه الطريقة ستنتال عطف الناس؟!!

وأطل إليه الرجل الثالث وكان مسنون الوجه حاد النظرة وقال له:

- المخبرون مثلك هم وكلاء فاشلون ولن يمكنهم الوصول إلى ضحاياهم بهذه الطريقة. قم، يا عزيزي، وغير المكان وبدل وضعية استلقائك كي لا تثير الشكوك!

نظر إليه الرجل الرابع وكان حافي القدمين رث الثياب يمسك بقنينة كحول شارفت على النفاذ وقال

له:

- استرح وانعم بالراحة! ماذا ستجني من كل ذلك الوهم الذي يتسابق نحوه المتسابقون؟!!

نظر إليه الرجل الخامس وهو ينفخ صدره باستعلاء ظاهر وقال:

- ما هي الرسالة من وراء كل هذا؟ التواضع؟ أم المذلة؟...

نهض الرجل من الأرض وفي رأسه طنين الدوخة وأزيز كلام الناس وقال لنفسه:

- هل كنت أنا الجالس هنا؟...

وحدة وجود

رفاقي في الحي علموني أن خير وسيلة للدفاع هي الهجوم وكانت بالفعل حكمة ناجحة دائما في الشطرنج والضامة والبارشيه وكرة القدم وغير القدم...

ولأنها كانت ناجحة، فقد صارت عقيدتي الهجوم وفي نيتي الدفاع إلى أن انتبعت إلى جحافل الناس تطاردني بالحجارة والعصي والهرارات وهي تنصيح بشعار نقيض تطالب من خلاله برأسي:
- "الهاجم يموت شرعا!"

وصلني الشعار كاملا لأن أحدهم كان قد اقترب أكثر مني وفي نيته مقايضة هجومي بقتلي فأرديته قتيلا لكنني انتبعت فجأة إلى أنه يشبهني تماما!...

كانت الثواني التي توقفت فيها لمنازلة القتل مناسبة لجحافل الهاجمين ليربحوا أمثارا إضافية ويقتربوا مني أكثر ويجعلوا شعارهم أكثر تطرفا وهم يلوحون بالسكاكين في الهواء لكنهم، في لحظة من اللحظات، بدوا لي جميعا بأنهم يشبهونني تماما حتى في نبرات صوتهم وهم يصيحون:
- "باش قتلت باش تموت!"...

استيقظت من كابوسي أقطر عرقا وصدى التهديدات يرن في مسامعي وصور وجوه غيري التي لم تكن غير ملامحي، تمر في شريط بطيء أمام عيني.

آنذاك فقط أيقنت بأنني كنت الهاجم والمهاجم، القاتل والقَتيل، الفاعل والمفعول به...

الجنس الخامس

الكائن المثير الذي مر أمام السطيحة أثار انتباه رواد المقهى فقال الأول:
- يا لها من امرأة سريالية!

وقال الثاني:
- بل هي امرأة مسترجلة!

وقال الثالث:
- أراهن أنها خنثى!

وقال الرابع:
- إنها الدفعة الأولى من جيل الجنس الرابع!

وقال الخامس:
- بل هو رجل متنكر في زي امرأة!

في تلك الأثناء، وقفت سيارة وانفتحت أبوابها الأربع بسرعة لينقض رجالها على الكائن المثير للخط ويقيدوا بكل العنف الممكن يديه بالأصفاذ ويلقوا به في مجاهل السيارة وينطلقوا.

نبوغ

رأسه الكبير جعله مسخرة أطفال الحي الذين صيروه مادة للتنكيت والسخرية:
- "لو كنت ملكا على دولة من دول المعمور، لكانت العملة المنقوش عليها وجهك هذا في حجم الصينية!"

لكن أمه كان لها رأي مغاير فقد همست في أذن زوجها الذي لا يملك ما يصرفه على عائلته:
- "كبر الرأس من كبر الذكّر وعظمته!"

وقال الأب عاليا لعموم أفراد أسرته الذين ينتظرون وجبة العشاء:
- "كبر الرأس من النبوغ وعلو الشأن!"

وقال الأخ الأكبر لأصدقاء الحي الذين ضاقوا بجدران الدروس الليلية لمحو الأمية:
- "كبر الرأس من كبر الدماغ!"

أما الطبيب فقد قال لأفراد العائلة الذين حملوا الصغير إلى قسم المستعجلات بعد وعكة طارئة ألتمت به:
- "كبر الرأس تطور بيولوجي غير طبيعي أساسه خلل في إفرازات بعض الغدد، وهو ما يهدد بوضع حد لحياة طفلكم" ...

فراصة

كان الشاب يسرع الخطى وهو يدخن سيجارة تجاوزت حمرة لهبها شفثيه ويتأبط قنينة خمر رخيص متجها نحو ماخور تنادي من نوافذه المومسات على الذكور من المارة كما ينادي الباعة المتجولون على الزبناء حينما أوقفته كلمات شيخ تعلق ملامحه علامات الخبرة في علم الفراصة:
- "أراك وحيدا ومدمنا ومبتلى!" ...

وحين توقف الفتى وجمد مكانه، واصل الشيخ:
- "التدخين للمتوترين، ومعاقرة الخمر للأشقياء، وارتياح المواخير للخجولين، وإدمان الوحدة للمنبوذين!" ...

ثم انصرف تاركا الشاب يتقرس صورة وجهه منعكسة على زجاج قنينة الخمر الرخيص المطلة من تحت إبطه.

غلا دياتور

لبس الحديد وتأبط الحديد وثقل مشيته وغلظ صوته ورفعته وخرج يبحث عن خصم يختبر فيه أو معه قوته فلم لم يخرج أحد لمنازلته ولم يخرج أحد لرؤيته فلم يلق لا التهليل ولا الترحيب ولا الاستهزاء...

في تلك الليلة، بيعت كل نسخ الطبعة الأخيرة من رواية "دون كيشوت دي لامانتشا" التي نزلت للتو إلى المكتبات.

العينون

خلسة، وضع له جليسه قرصا في فنجان قهوته ثم استدار للتستر على فعلته بالحديث مع جلساء آخرين على يمينه.

تجرع الزبون القهوة وأحس للتو بتفاحة آدم تنتفض في عنقه وتنتفخ.

اعتقد أن القهوة شديدة المفعول وأنها ستساعده على السهر فخرج ومعنوياته ترتفع درجة درجة حتى خال نفسه معلقا فوق الناس الذين كانوا يمسكونه من سيقان سرواله لجره إلى الأرض خوفا من سقوطه من الصومعة التي تسلق جزءها السفلي دون سلم.

أنزلوه أخيرا ومددوه على الأرض وأحضروا فقيه المسجد وبدؤوا فرضياتهم التي سيبنون عليها تجاربهم:

- لقد تملكه مسّ من الجن!...
- ربما فقد عقله لكثرة قراءاته وهوسه بالكتب...
- مجرد عُصاب. ربما تملكته نوبة غضب شديد قبل أن يصير على هذا الحال...

وضع له جليس المقهى قرصا ثانيا في كوب ماء ثم أعطاه للرجل الصريع ليشربه ويقوم للتو، معافى.

بُويَا عُمَر

بايع الجماعة على رأيها وأمال رأسه للغريب الجالس بجانبه الذي صبّ في أذنه إغراءً وثناءً وجاهاً جحظت له عيناه جحوظاً انتبعت له الجماعة وخصصت له وقتاً لرصد التغيرات الجسدية التي رافقتة ماسخةً فرداً من أفرادها المخلصين.

خرج الغريب وظل الجاحظ مُسَمَّرً في مكانه أمام الشاشة الشاخصة في خياله يشاهد المال الوفير يُزَيْن مرافق بيته شيكات وأوراقاً ونقوداً لقاءً الإيقاع بأفراد عائلته والوشاية بجماعته والدسياسة لقبيلته وتشتيت ما جمع من شمل يخف وزنه أمام كفة المال والذهب والممتلكات...

ظل الجاحظ أسير جُحوظه ولم ينتبه لحاله إلا بعد أن قيدت القبيلة معصميه ورجليه بالأسلاك ولفته بالحبال والسلاسل وأرسلته على متن عربة خشبية بعجلتين يجرّها بَعْلٌ إلى قلعة "بُويَا عُمَر" للتداوي من الأمراض الدخيلة على القبيلة بذوي السياط على الجلد.

تفاحة نيوتن

تمددت تحت شجرة تفاح وتوسدت ذراعي مستسلما للنعاس الذي استبد بي وأبطأ إدراكي وعطل حواسي فتنازلت لأخواري عن نصيبي في وجبة الغذاء مقابل قيامهما بدوري في رعي البقر بعد انتهائهما من الأكل.

في عيني الناعستين، كانت صورة الكون تتبدل وتتهادى بشكل عجائبي: البقر يرعى العشب بنهم وأخواري يتناولان غذاءهما بشراهة.

البقر يشبع وينسحب إلى الظلال وأخواري يشبعان ويلزمان مكانهما يلعبان الصحن بسبابتهما.

البقر يلحس بعضه البعض وأخواري...

استيقظت على وقع تفاحة على جمجمتي فوجدت نفسي منتصبا أهش بعصاي قطيعا لم أسقه إلى المكان: قطيعا من طفلين يكيلان لبعضهما الركل واللطم واللحم وهما يتمرغان على الأرض.

نواصل

تجمع أهل الحي وقرروا أن يُفهموا جارهم الجديد بأن سلوكه المبالغ في التحرر يهينهم ويسيء إلى شرفهم ويفسد تربية أبنائهم.

حرروا خطابا وقرروا وضعه في علبة رسائله.

اقترح أحدهم أن يكون الخطاب قويا في لهجته.

اقترح الثاني أن يكون الخطاب مكتوبا بخط عابث على ورق رديء.

اقترح العاشر أن يقدم الخطاب بشكل عنيف...

رموا زجاج نافذة بيته بالحجارة ولما تكسر الزجاج ألقوا بالرسالة إلى الداخل.

استيقظ الجار من نومه مذعورا. ولما تعرف السبب، فهم نقطة ضعف بيته: زجاج النافذة.

في الغد، قرر إغلاق النافذة بالكامل وتحويلها إلى جدار.

بلا جدران

أمام كثرة الرسائل الواردة على علبته البريدية والتي تحمل في ثنايا سطورها الذكورية روح النقد اللاذع، طوّر عادة جديدة: ألا يقرأ غير الرسائل الأنثوية.

رسالة اليوم الأول، كانت لقارئة تعترض على قراره إقصاء القراء الذكور من علبته البريدية وتعتبر الأمر إجحافاً في حق القراء جميعاً.

رسالة اليوم العاشر، لقارئة تعترض على تحديده لشكل واحد من أشكال التواصل: البريد المكتوب والمراسلات المكتوبة...

رسالة اليوم الألف، لقارئة اعترضت بشدة على نيته كتابة قصة قصيرة جداً تكون مادّتها تركيباً لهذه المراسلات...

كاميرا تجسس

عاد من السفر وشغل للتو كاميرا التجسس التي برمجها ودسّها تحت مائدة قاعة الأكل لتصوير الوافدين على بيته في غيابه.

اشتعل الزرّ الأحمر وبدأت اللقطات تتسلسل.

أقدام زوجته وهي تحضر وتغيب.

فتات الخبز يتساقط على الأرض.

القط يظهر فجأة تحت المائدة ليلتقط الفتات.

ينتبه القط إلى الكاميرا. يقترب منها. يشمها. يتمطط قربها يتفوه كأسد ثم يدير لها ظهره.

تدفع الأقدام الأنثوية القط بعيدا عنها حين يختار الاحتكاك بها.

ينتهي تساقط الفتات على أرضية الغرفة.

تبتعد الأقدام الأنثوية وتغيب.

يستعد القط للحاق بالأقدام الأنثوية وهو ينظر خلفه إلى الكاميرا التي، بعد اختفائه، ظلت تصور الفراغ لكل الوقت المتبقي من عمر الشريط.

الصلابية والشاعر

كان الفرعون، في الأعلي، يلوح بيديه ورجليه وكافة أطرافه وهو يصرخ الشطر الأول من بيته:
-أنقذني، يا هامان، من السقوط!...

بينما كان الشاعر المخمور القابع أسفل الصومعة يغمغم تنمة البيت:
-كجمود صخر حطه السيل من عل...

عمل مقولاتي

كان يأتي كل يوم إلى "السوبر ماركييت" ببذلة بالية ويستبدلها في جناح الملابس الفاخرة ببذلة جديدة ويتحایل عند الأداء بتوجيه انتباه المحاسبة إلى قنينة حليب وخبزتين يضعهما قبالة عينيها على المنضدة ثم يخرج مباشرة نحو "البوتيك" الذي فتحه حديثاً، وسط المدينة.

مع توالي الأيام، حول جناح البدلات الفاخرة إلى جناح لبيع "الخُرْدَة". ولثني الزبناء عن تنبيه الإدارة، علق لوحة عند مدخل الجناح كتب عليها: "جناح الملابس المستعملة!"

آخر مرة وضع فيها قنينة الحليب والخبزتين على منضدة المحاسبة، واثقا من نفسه داخل بدلته الفاخرة، سألته المحاسبة:
- يبدو أن بذلة اليوم ناسبتك أكثر!

فأجابها:

- لا يناسبني هنا غير الحليب والخبز!

فردت عليه:

- فكرة جناح خاص ب "الملابس المستعملة" أعجبت المدير كثيراً.

فأجاب:

- أنا لا تعينيني الفكرة، أنا آخذ الحليب والخبز فقط.

فردت عليه:

- أما فكرة "بوتيك" على الشارع الرئيسي وسط المدينة تنقل إليه البدلات الفاخرة من هنا لعرضها وبيعها هناك ففكرة جديرة بالاهتمام. لذلك ستحكم المحكمة هذا الأسبوع بتحويل "البوتيك" إلى فرع تجاري تابع لهذا "السوبر ماركييت".

آنذاك، خرج الزبون عن رزائنه وهدوئه صارخاً:
- وأنا؟!!

فأجابته المحاسبة:

- أما أنت، فيمكنك الالتفات خلفك لتتعرف على الضابطة القضائية التي جاءت خصيصاً لنقلك إلى مكان مغلق حيث ستلاقي أمثالك!

أيوب

يدفع عربة يبكي داخلها طفل بهياج بعد نفاذ الحليب في رضاعته:
- اصبر، يا أيوب !

لكن الطفل يستمر في بكائه فيواصل الرجل:
- الصبر مفتاح الفرج، يا أيوب !

يظل هياج الطفل مستمرا:
- كل شيء فان، يا أيوب !

تقدم أحد المارة من الرجل وسأله:
- يبدو أن جملك لم تصبر طفلك أيوب !

فأجابه الرجل:
- " أيوب " هو اسمي، و"الصبر" هو ما ينقصني.

مراتب الغش

محكمة!

في قضية الغش في بناء القبور التي هوت على رؤوس أهاليها من الأموات، حكمت المحكمة بـ "عدم الاختصاص".

وفي قضية الغش في بناء حي سكني خاص بالوافدين من أحياء الصفيح وما نتج عنه من هلع وفوضى في صفوف الساكنة، حكمت المحكمة على المنعش العقاري المسؤول عن المشروع بـ "ترميم المساكن المتضررة".

وفي قضية الغش في بناء السجن المركزي الذي ترتب عنه تشقق في الجدران الخلفية للسجن والتي ساعدت إلى حد كبير في هروب السجناء، حكمت المحكمة على المهندس المعماري والمنعش العقاري ومدير السجن بـ "عقوبة الإعدام".
ورفعت الجلسة!

لالة كنزة

استمر الصراع بين القبيلتين على تسمية الضريح لمدة تزيد عن قرنين. لقد كانت كل قبيلة تعلم أن من سمى الضريح امتلكه وأحقه بقبيلته.

القبيلة الأولى تصر على تسمية الضريح "سيدي سلامة" لأن العزاب الذين يقصدونه يتزوجون قبل دوران العام.

القبيلة الثانية تصر على تسمية الضريح "لالة سلامة" لان العازبات اللواتي تقصدنه يتزوجن قبل اكتمال دورة العام.

وفي عز الصراع، استيقظت القبيلتان ذات خريف على خبر نَسَفَ معتقدها من أساسه: فقد حج الليلة السابقة جمع من المهووسين بالبحث عن الكنوز وحفروا الضريح وحملوا ما كان داخله من نفيس الثروات وتركوه مفتوحا نكاية بأهالي القبيلتين الذين تصالحوا قبل انتشار الخبر بين العالمين وانفقوا على تسمية الضريح تسمية جديدة تليق بالوحدة بينهما: ضريح "لالة كنزة".

غور

استبد الحر بالطائر الصغير فاخترق كالسهم أوراق شجرة التين الظليلة حتى إذا ما استقر على أحد أغصانها واسترد عافيته، قال للشجرة:
- اسمحي لي يا عمتي الشجرة. لقد أثقلت كاهلك!

أجابته الشجرة، ساخرة:
- خذ راحتك، يا صغيري، أنا لحد الساعة لم أستطع تحديد الورقة التي تستريح عليها...

ملحوظة هامة:

من باب الوفاء للأصل، أود أن يعلم القارئ بأن هذا النص ليس لي وأن كاتبته امرأة أمية. ولأنها لا تعرف القراءة فقد كتبتة مكانها ونشرته لها. ولأنها لن تلاحظني على حقوق الملكية فقد نشرته باسمي. ولأنني ابنها فقد اعتقدت أن يكون هذا النص ترجمًا من ولد علي والدته في الذكر الثانية عشرة لوفاتها.

القبامة الآن

فتح علبة الرسائل المملوءة بالإنذارات من وكالات الماء والغاز والكهرباء وشركة الإتصالات وإدارة الضرائب...

شغل هاتفه النقال، فقفزت إلى مسامعه رنات الرسائل الآتية.

فتح الأولى والثانية والثالثة والرابعة: إنذارات من وكالات الماء والغاز والكهرباء وشركة الاتصالات وإدارة الضرائب...

فتح باب بيته فاستقبله الظلام الدامس.

ضغط على الزر الكهربائي فلم يشتغل.

أدار الصنبور فلم يجد ماء وبدا له بيته في هذه الظلمة مثل قبر وعلم بالفطرة أنه سيسلم روحه هنا الآن فاعترتة قشعريرة لم يعهدها من قبل...

تراجع قليلا ثم فرّ هاربا، تاركا الباب وراءه مفتوحا على مصراعيه.

تحكيم

صفر حكم المباراة في الدقيقة الأخيرة من عمر مباراة التعادل السلبي وهو لم يتخذ القرار بعد.

تحلق حوله لاعبو الفريقين لمعرفة المستفيد من صفارته.

هرب الحكم منهم إلى منتصف الملعب فتبعه لاعبو الفريقين.

هرب الحكم ثانية إلى معترك الفريق الأول فتبعه لاعبو الفريقين معاً.

هرب مرة ثالثة إلى معترك الفريق الثاني فلم يتبعه غير لاعبي الفريق الأول الذين استفادوا من ضربة جزاء ومن الفوز بالمباراة وبالكأس وبالحق في المشاركة في البطولات القارية...

إغراء الأعالى

على حافة سطح العمارة، وقفنا كلّ بمظلتنا نعدُّ للقفز الحرّ والتحليق في الأعلى:

أربعة، ثلاثة، اثنين، واحد...

انطلقنا...

انطلقت...

اكتشفت، وأنا في السماء، بأنني الوحيد الذي امتثل لقانون اللعبة وقفز من حافة سطح العمارة!

ثم انتبهت إلى ان المظلة التي أحملها على ظهري لا تشتغل!

في تلك اللحظة فقط، أدركت هول الخدعة والفاجرة: فقد بدأت تصل إلى مسامعي قهقهات السخرية من أعلى سطح العمارة ومن نوافذ البنايات المجاورة ومن أعماق البيوت الواطئة تحتي...

حينها، أدركت بأن الموت محقق وبأنني خدعت لولا أن اليقظة أدركتني ففتحت عيني على إطلالة شمس جديدة من النافذة قبالي.

لكل حلمه، لكل مباراته

المباراة على أرض الملعب فوارة والجمهور على المدرجات هائج.

اللاعبون على أرضية الملعب منهكون أو يائسون والجمهور على جنبات الملعب يرقص "لا هولا!" الإسبانية.

محاولات التهديف والتهديد غائبة على أرض الملعب والجمهور على المدرجات يهتف بين الفينة والأخرى فرحا بتسجيل هدف.

الفريقان على الأرض يلعبان دفاعا عن اللونين الأصفر والأزرق والجمهور على المدرجات يغني للونين الأخضر والأحمر.

الحكم على أرض الملعب يصرخ معلنا نهاية المباراة بالتعادل السلبي والحكم في المذيع يعلن في أذان الجمهور على المدرجات انتصار فريق ثالث على رابع وتصدره المجموعة بعد التعادل السلبي للفريقين المنافسين له على بطولة الدوري.

لاعبو الفريقين على أرضية الملعب ينهارون على الأرض والجمهور الهائج على المدرجات يشعل الألعاب النارية فرحا ويتدفق نحو كل الأبواب للخروج إلى شوارع المدينة استعجالا للاحتفال بالنصر.

غابة

أحاطت به عصابة الفجر من كل جانب وقال له أعضاؤها قول رجل واحد:
- "اخرج ما في جيوبك وإلا فلن تلوم غير نفسك!"...

انتبه للسكاكين حول عنقه وخاصرته وظهره وبطنه وأعطاهم ما في جيبه من أوراق نقدية حتى إذا ما أخلوا سبيله وانصرفوا قصد أقرب مخفر للشرطة ليحتج عن الأمن الغائب في البلد وعن الوطن الذي صار غابة وعن غربة المواطن في غياب أي حماية اللهم الرعاية الإلهية التي أعمت اللصوص عن المال الذي لا زال يحتفظ به في جواربه.

أنهى الضحية احتجاجه على الشرطي داخل المخفر وخرج يرغد ويزبد.

في الباب، طوقته نفس العصابة بنفس الأسلحة البيضاء وقال أعضاؤها قول رجل واحد:
- "هات المال الذي لا زلت تحتفظ به في جواربك!"...

حلم اللصوصية وورع الغيبة

داهم اللصوص بيت الشاعر المتوفى وهم يعلمون بأن **أبا نواس** لا زوجة له ولا أبناء ولا أقارب...

اقتحموا البيت الذي صار مهجورا ووهم يفركون أكفهم استعدادا للانقضاض على الغنيمة...

في الداخل، لم يجدوا غير عود ورقعة شطرنج وكُرَاسَة سُجِّلَ عليها غرائب الألفاظ وحصير من دَوْم...

وفي عز الصدمة، تهالك اللصوص على الحصير ورفعوا أكفهم للسماء بعيون دامعة ودعوا للرجل بالرحمة الوفيرة وبدخول الجنان السماوية الفسيحة وفراديسها الرحبة، متممين:
- كنت حرا، يا **أبا نواس**. عشت فما كسبت ومت فما أورثت!

كاتب إلى الأبد

أنفر من المايكروفون.

أنفر من الكاميرا.

أنفر من الأتباع.

أنفر من كل من يتشبث بي ليلزمني مكاني...

ما أتمناه هو أن أحيا لأطول مدة ممكنة لأعطي ما في جعبتي ولأفسد انتظارات الطفيليين الذين ينتظرون جنازتي ليكرموني بعد رحيلي وليكرموا أنفسهم كأصدقاء لي وحماة سري وأصحاب الفضل علي...

ما أتمناه أن هو أن يدوم هذا الانتظار الطويل وهذا الجفاء الحقيقي بيني وبين المتطفلين لأطول مدة حتى تصفى عطاءاتي من كل زيف وبهتان ومواراة...

كل ما أتمناه هو أن أحيا لأطول مدة ممكنة، أن أحيا إلى الأبد.

الرجل المغمُ الذي حملتُ به، صرته

بعد عشر سنوات خارج الوطن، صرتُ الفتى الذي يقول: "ها أنذا".

بعد عشر سنوات من التشرد والجوع والإذلال والكد والتعب في بلدان الناس، ها أنذا في وطني بالصورة التي طالما رسمتها لنفسي منذ سنين خلت: رصيد في البنك، ورصيد في الجيب، ورصيد في كل إيماءة من إيماءاتي...

بعد عشر سنوات، ها أنذا...

المتسول يمد يده لي وعينه على جيبي، وماسح الأحذية يراقب لي صباغة حذائي ويطلب تغييرها، والطفل المتسخ المثقل بعلب السجائر المهربة يقدم لي سجارة ويشعلها لي وكله لهفة لرنين الدراهم في كفي، والنادل يسبقني إلى المائدة لترتيبها عارضا خدماته راكعا، والحسناوات تطاردنني من نوافذ سيارتي المحاصرة بالسيقان الناعمة...

بعد عشر سنوات، ها أنذا. ولكن أين وطني؟

سياحة العلم

سياحة ثقافية...

تلك أحب أشكال السياحة إلى قلبه: أن يسافر محترما ويستقبله المضيفون باحترام ويخدموه باحترام، يلهبوا عطشه لثقافة البلد ويبحروا به في محيطات اللاعودة...

في مقعده بالطائرة، كانت المضيضة كل مرة تضع على مائدته مجلة جديدة في مجال ثقافي جديد وبطاقة بريدية جديدة لموقع أثري جديد وشريطا مدمجا لمغن جديد وكتابا لأديب جديد...

بعد نزوله من الطائرة، قصد أول وكالة أسفار للاطلاع على الخدمات السياحية: سياحة طبيعية، سياحة ثقافية، سياحة الثورة...

لكن صورة إشهارية في الزاوية البعيدة شددت انتباهه...

ربما كانت خريطة تشبه خريطة بلده مؤتثة أو ملونة بلون يشبه جلد الإنسان...

أقترب.

خريطة بلده تعج برجال ونساء عراة...

خريطة بلده مرسومة بلون اللحم البشري...

خريطة بلده مرسومة بعدد سكانها كما ولدتهم أمهاتهم...

خريطة بلده ترسمها أجساد عارية تحت الشمس يتمدد داخلها الرجال على بطونهم والنساء على ظهورهن بينما يجلس الأطفال على ركبهم رافعين أيديهم للزوار بعيون نائمة وقبضتين مضمومتين في اتجاه أفواههم الفاغرة كأنما لمص شكل طويل من حلوى...

كهفولة

الرجل غارق في كرسيه يقرأ جريدة ويولي ظهره لعائلته التي تستمتع، في الخلفية القريبة، بفضاء النزهة.

الطفل يقتحم عالم أبيه:

- ما هذا الذي ينهق، يا أبي؟

الأب، غير راغب في إطالة الحديث:

- الديناصور، يا بني.

الطفل مهتما:

- هذا هو الديناصور، يا أبي؟

- نعم، هو هذا.

الطفل يعود ليقتمح عالم أبيه:

- أبي، ماذا أسميت هذا؟

- حمارا، يا ولدي.

- حمارا أم ديناصورا؟

- سيان، يا ولدي: الحمار والديناصور سيان...

الجار يقتحم الصورة، متعجبا:

- ولدك يعرف الديناصور الذي انقرض منذ سبعين مليون سنة ولا يعرف الحمار الذي يعايشه ويجاوره ويجايله؟!!

رفع الرجل لأول مرة نظره إلى مخاطبه وقال:

- العجلة من الندامة. سيناديه بهذه الصفة كل مخاطبيه. آنذاك سيعرف الحمار الحيوان من الحمار الإنسان!

غبرة

"الحياحة" والصيادون يطاردون الخنازير، يصطادونها ويتركونها ملقاة في الغابة وينصرفون وهم سعداء يتفاخرون بمهاراتهم في القنص ويتندرون على خوف هذا وهرب ذلك من رفقاء الصيد وتسلقه جذع الشجرة للنجاة من أنياب خنازير خانقة بدورها...

وحدهم الأطفال يتساءلون:
- ألن نأكل الخنازير المصطادة؟

فيأتيهم الجواب:
- لا . لحم الخنزير حرام!

يتساءل الأطفال فيما بينهم:
- لماذا إذن يصطادون الخنازير؟

كبر فيهم لهيب السؤال ونما في قلوبهم التعاطف مع الخنازير وراحوا يتعقبونها حين يخرجون لإسقاط البلوط في الغابة.

ذات مرة صادفوا خنزيرا نائما فقفز من نومه هاربا.

تبعوه، مطمئنين:
- لسنا صيادين، نحن أطفال مثل صغارك.

ثم سألوه لما هدا روعه:
- لماذا يصطادونك؟

فأجابهم:
- إنهم يحسدونني على صحتي، ويغارون من قوتي...

أفكار ملونة

الأسئلة وعلامات الاستفهام في دماغي.
وجع خفيف يمرق بأحشائي
شيء كالجمر، كوخز الرماح في أمعائي.
الرماح ساخنة قي أعماقي.
الرماح داخلي تلتهب رؤوسها
الرماح تحمر، تحمر...
الرماح تطل من عيني برؤوس حمراء...
الرماح الآن برتقالية...
الرماح صفراء...
الرماح في بؤبؤ عيني برؤوس بيضاء...
الرماح زرقاء...
عيناى زرقاوتان...
عيناى تنطفئان...
الظلام يغمرني...
السواد يغلف الكون ويطفىئ وميض النجوم...
الدوار...
ثمة كائنات ترفرف داخل مجمتي وترتطم بجدرانها الداخلية...
ثمة كائنات ترفرف في كل الاتجاهات...
ثمة كائنات ترفرف بجنون ولا مجال لإفلاتها من تحت عظام مجمتي...

دوائر تدور

رأى على أرضية المحطة الطرقية ظلاً يقتحم إقليمه وما أن استدار حتى كان قد فقد ثقل الحقيبة التي كانت على كتفه. دار دورتين في مكانه بحثاً عن الحقيبة وعن التوازن ولم ينقده من السقوط غير صيحات "أوقفوا اللص!" انتبه إلى الجهة التي تمتد إليها السبابات اللانهائية والصيحات المبجوحة واطمأن لما رأى أحدهم يخطو نحوه بالحقيبة مزهوا بعمله.

تسلمها وشكره لكن الرجل تمسك من الجهة الأخرى بطرف الحقيبة وقال:
- "ألا توجد مكافأة على ما قمت به من نبيل الصنع؟!"

تفاجأ الرجل وقال:
- "لكنه ليس في الحقيبة غير كتاب وورقة!"

ألح عليه المحتشدون:
- "ولو مكافأة رمزية!"

فكر قليلاً ثم مد الحقيبة للرجل وقال:
- "هذه مكافأتك، كانت الحقيبة قد ضاعت ولكنك استرجعتها فهي الآن لك!"

ثم انسحب لركوب الحافلة.

من زجاج نافذة الحافلة، كان يتابع المشهد الذي بدا أنه تركه على الأرض حيث ألح المحتشدون حول الرجل المكافئ أن يفتش جيوب الحقيبة بحثاً عن الغنيمة.

فتحتها وأعاد تفتيشها فلم يجد غير كتاب بعنوان "ولكنها تدور" وورقة، كما أخبره صاحب الحقيبة الأصلي .

ولأن المكافأة "فارغة"، فقد ألح المحتشدون الذين ينتظرون حافلات تتأخر دائماً أن يسمعه يقرأ ما كتب على الورقة.

سرحها الرجل وقرأ عنوانها "دوائر تدور" وتوقف لأنه لم يعرف معناها لكنهم ألحوا عليه بالاستمرار. فواصل:

- "رأى على أرضية المحطة ظلاً يقتحم إقليمه وما أن استدار حتى كان قد فقد ثقل الحقيبة التي كانت على كتفه. دار دورتين في مكانه بحثاً عن الحقيبة وعن التوازن ولم ينقده من السقوط غير صيحات "أوقفوا اللص!"

انتبه إلى الجهة التي تمتد إليها السبابات اللانهائية والصيحات المبجوحة واطمأن لما رأى أحدهم يخطو نحوه بالحقيبة مزهوا بعمله.

تسلمها وشكره لكن الرجل تمسك من الجهة الأخرى بطرف الحقيبة وقال:
- "ألا توجد مكافأة على ما قمت به من نبيل الصنع؟!..."

إلى آخر هذا النص.

حين يتخلى المرء عن نفسه

- حين أصادفهم في مؤسسة، يميلون على عرابهم لاستشارته:
هو هنا. هل ندخل فنجتمع به؟

- وحين أحبيهم، ينظرون إلى عرابهم:
هل نرد التحية؟

- أما حين أتكلم فيستعجلون عرابهم لمعرفة ما يجب فعله قبل مرور خطابي إلى دماغهم:
هل نصدق ما يقوله؟

- ولما لم يدركوا بأن ما سردته نكتة هدفها تذويب الجليد بيننا، سألوني:
هل هذه نكتة؟

وحين أومأت لهم بالإيجاب، استلقوا على ظهورهم من فرط الضحك وفاضت عيونهم بالدمع من صدق العاطفة!

لكنني حين قلت لهم موقفي الذي أصروا على سماعه، استداروا نحو عرابهم ثانية يسألونه:
- "هل هذا صحيح!"

لو كان قد قال لهم "لا"، لكانوا انقضوا علي بالنقد والتعنيف. لكنه قال لهم "نعم"، فاستيقظوا فجأة باهتمام جديد يرمشون بانتعاش وطلبوا من عرابهم أن يدعوني إلى بيوتهم للسمر قبل سفري إلى حيث يحتفظ الناس بأنفسهم لأنفسهم.

الساحر الذي أخضها الصريق

الحلم بالثروة دفعه لتعلم السحر لكنه أخطأ المسار فسقط في هاوية الالاعودة....

عند كل باب وصلها طلبا للخروج من النفق، كان يلتقي جنيا يخيره بين عقابين لا ثالث لهما.

الباب الأول:

- الصلح أم الشيب؟
- الشيب أفضل. سأقبل به عقابا.

الباب الثاني:

- العمى أم العمش؟
- العمش أقل ضررا. ليكن عقابي عمشا.

الباب الثالث:

- الجهل أم الأمية؟
- الأمية مقبولة. ليمسح العقاب معارفي وتجاربي.

الباب الرابع:

- الجرب أم البرص؟
- الجرب يضر ولا يدوم.

الباب الخامس:

- التشعير أم التمليط؟
- التشعير قد يحولني إلى قرد أشعر. التمليط أفضل.

الباب السادس:

- التأنيث أم التخنيث؟
- هل لا بد من احدهما؟
- أجب وإلا أرجعت إلى الباب الأولى لتلقي عقوبات إضافية!
- حسنا، ليكن التخنيث مادام يحمل في أعماقه بعض الذكورة.

عند الخروج من الباب السابع، كان الساحر، بين بني جلدته، قد صار مسخا ممسوخا...

رحلة العلم بجواب يروي عكش السؤال

تساءل منذ أول يوم وطأت قدماه عتبة المدرسة عن الغاية من التمدرس والجدوى من انتظار النتائج تلو النتائج...

في المدرسة، أجلس أسئلته للمرحلة الإعدادية ما دام سنه أصغر من فهم الأجوبة التي ينتظرها وتنتظره. وفي الإعدادي، أجلس إصراره على الجواب إلى ما بعد مرحلة التوجيه التربوي فالفهم الصحيح للجواب يقترب دائما مع الواجهة المناسبة في السياق المناسب. وفي الثانوي، أجلس جوابه مرة أخرى إلى ما بعد البكالوريا، فالتلميذ ليس هو الطالب: التلميذ هو مُجمَعُ للمعارف والمعلومات، أما الطالب فيتعدى ذلك إلى التمرس على المنهج الذي يبقى سبيل السائلين نحو الجواب والإيمان بالجواب.

وفي الجامعة، تأجل المؤجل إلى ما بعد حصوله على شهادة الإجازة فالأسئلة الجانبية من تشتيت التركيز. وبعد نيته شهادة الإجازة، وجد نفسه وسط السيل العارم من زملائه ورفقائه ومُجايليه أمام باب البرلمان ينتظرون الجواب عن سؤال انتظر عشرين عاما وهو لا يعرف حتى المخول له بالجواب.

وبينما كان المتظاهرون ينتظرون خروج "نواب الأمة" من تحت قبة البرلمان إلى الشارع الرحب بسلاهمهم البيضاء وجلابيبهم البيضاء ونعالهم البيضاء للجواب على أسئلتهم أو للاستماع إليها لنقلها إلى داخل قبة البرلمان حيث سيتكلف من ينقلها إلى من يحرّر الأجوبة لكل السائلين داخل القبة وخارجها، طوقتهم جحافل قوات التدخل السريع من ثلاثة جوانب ورجمتهم بالغازات المسيلة للدموع وأمطرتهم ضربا بالهراوات ولم تترك لم غير ممر وحيد آمن يجرفهم بالقوة نحو محطة القطار.

في مقصورته داخل عربة القطار، سبح خياله بعيدا مع الأغنية المناسبة من جهاز تسجيل أحد الركاب: - "فين غادي بي خويا، فين غادي بي؟"

ولم يوقظه من غفوته سوى هدير القطار أو صفيره أو زعيقه فانفض مذعورا ليجد نفسه يسأل عن اسم المحطة التي وصلها القطار أو التي سيغادرها. ثم وجد نفسه ثانية يصيح: - "هذه مدينتي! فين غادي بي هاذ القطار؟ فين غادي بي؟"

ولأنه يعلم بأن القطارات لا تصغي للأصوات الصغيرة، فقد قفز من الباب ملطخا الممشى بدمائه التي سالت والثوت، تقطعت واتصلت، حتى إذا ما استقرت وفقدت بريق حمرتها وجفت، تعرف العابرون من الركاب على جملة استفهامية غامضة حُطت على أرضية المحطة بدماء مسافر عابر في محطة عابرة في حياة عابرة....

خمس قصر قصيرة جدا بعناوين هائلة جدا

المرايا الألف التي تُشئت ملامح الوجه الواحد

في حلمي، كنت أضيق الخناق على عنق أبي الذي كان بدوره يشدد الخناق على عنقي ليوقظني من نومي.

ما بين السقوط في مهاوي الردى والصعود إلى السماوات العلى

الطبيب النفساني فسّر لي الفرق بين الحلم والكابوس. وعالم الدين فسّر لي الفرق بين الحلم والرؤيا. ولا أحد منهما فسّر لي السبب الذي أقضي بموجبه كل منامي يُسرَى بي إلى السماء السابعة ثم يُخسَفُ بي في الأرض السابعة.

حين أيقظتني النار الأولى من كابوسي الأول

ألسنة النار كانت تلعق حلمي من كل زواياه لتوقظني حين اختلطت على أهلي وجيراني المقامات الصوتية والاتجاهات الأربع ولكنني لم أفهم السبب الذي جعل ذلك الشبح الأزرق أمامي يفرك قرنيه الأحمرين ضاحكا في وجهي ومُرَحَّبًا بي إلى سرير خلفه مُكبل بالسلاسل والأقفال...

الابتسامة الغامضة والعواطف الملتبسة للحبيبة الأولى التي عصفت بحلمي

هل هو فعل الخجل ذاك الذي يفجر بسمتها في غير وقت الابتسام؟
وهل هو فعل الشرود ذاك الذي يسرق نظرها واهتمامها ويتملكهما؟
وحده الحلم جاد علي بفكرة نصف دورة لأرى شريكي في البسمة والنظرة والحبيبة.

جوهرة الحلم المتعددة الوجيها

مع أول صرخة أطلقتها في سرير الولادة، بدأ والدي يحلمان لي: يرسمان لي عوالم ويوجهاني نحوها.
ومع بلوغي زهرة الشباب، بدأت أحلم لنفسني: أبني عوالم وأهدم أخرى.
ومع اعتناقي قضايا الدفاع عن القيم وعن الإنسان، بدأت أحلم لغيري: أرسم العوالم بنبض قلبي ولون دمي.



السيرة الذاتية لمحمد سعيد الريحاني

محمد سعيد الريحاني، روائي وقاص ومترجم وباحث في الفن والأدب من مواليد 23 ديسمبر 1968 بمدينة القصر الكبير، شمال المغرب.

عضو:

- جمعية "اتحاد كتاب المغرب" منذ 2008
- هيئة تحرير "مجلة كتابات إفريقية" الأنغلو فونية *African Writing Magazine* والصادرة من مدينة بورنموث *Bournemouth* جنوب إنجلترا منذ 2010...

حاصل على شهادة "الإجازة" (BA) في الأدب الإنجليزي عام 1991 بجامعة عبد المالك السعدي بتطوان، شمال المغرب.

صدر له ما بين 2001 و2012 اثنا عشر عملا ما بين دراسات فكرية ومجاميع قصصية وأنطولوجيات وروايات تدرجت حسب تاريخ الصدور كالتالي:

- "الاسم المغربي وإرادة التفرد"، دراسة سيميائية للإسم الفردي (2001)
- "في انتظار الصباح"، مجموعة قصصية (2003)
- "موسم الهجرة إلى أي مكان"، مجموعة قصصية (2006)
- "الحاءات الثلاث"، أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة (حاء الحلم، 2006)
- "الحاءات الثلاث"، أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة (حاء الحب، 2007)
- "الحاءات الثلاث"، أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة (حاء الحرية، 2008)
- "تاريخ التلاعب بالامتحانات المهنية في المغرب" (الجزء الأول، 2009)
- "تاريخ التلاعب بالامتحانات المهنية في المغرب" (الجزء الثاني، 2011)
- "موت المؤلف"، مجموعة قصصية (2010)
- "حوار جيلين" (مجموعة قصصية مشتركة مع القاص المغربي إدريس الصغير) 2011
- "عدو الشمس، البهلوان الذي صار وحشاً"، رواية (2012)
- "وراء كل عظيم أقزام"، مجموعة قصصية (2012)

له عدة مشاريع فكرية ونقدية وإبداعية قيد الإعداد للطبع:

- "التوازي والتعمد في مسارات القصة القصيرة بالعالم العربي" (دراسة مقارنة)
- "المدرسة الحانية، مدرسة القصة العربية الغدوية" (حوارات، بيانات، قراءات)
- "قيس وجولييت" (رواية)
- "بطاقة هوية" (رواية)
- "نظرية الزمانية" (رواية)
- "خمسون قصة قصيرة جدا" (الحاء الأولى: حاء الحرية)
- "خمسون قصة قصيرة جدا" (الحاء الثانية: حاء الحلم)
- "خمسون قصة قصيرة جدا" (الحاء الثالثة: حاء الحرية)
- "دفاعا عن القراءة" (عن القراءة كرافعة للتنمية والإقلاع الحضاري)
- "دفاعا عن الكتابة" (الدليل الوافي إلى عوالم الكتابة الإبداعية)

كتب قيد الطبع تناولته بالدراسة واستضافته للحوار:

- أنس الفيلاي، "رِيحَانِيَاتٌ" (سلسلة حوارات شاملة من أربعين لقاءً صحفياً مع محمد سعيد الريحاني)
- الدكتور نور الدين محقق، "شعرية القصة الحدائية: قراءات في أعمال محمد سعيد الريحاني السردية"

حائز على جوائز عربية ودولية:

- جائزة "ناجي النعمان للثقافة بالمجان"، بيروت (لبنان)، فرع الإبداع، 2005
- جائزة "المهاجر العالمية للفكر والأدب والفن"، ميلبورن (أستراليا)، فرع القصة القصيرة، 2011

شارك في صياغة التقرير السنوي الرابع للتنمية الثقافية بالعالم العربي الذي تصدره سنويا مؤسسة الفكر العربي من بيروت من خلال الإشراف المباشر على ملف الأغنية العربية لموسم 2010.

يعد للطبع سلسلة كتب حول الأغنية العربية أول أجزاءها: "رهانات الأغنية العربية" وهي سلسلة مقالات منشورة ما بين 2003 و 2010 تتمحور في مجملها حول الكائن والممكن في الأغنية العربية.

أشرف على الترجمة الإنجليزية للنصوص القصصية المكونة للقسم المغربي في أنطولوجيا "صوت الأجيال: مختارات من القصة الإفريقية المعاصرة" *Speaking for the Generations* التي أعدتها جامعة أوليف هارفيه بولاية تشيكاغو الأمريكية ونشرتها دارا نشر "ريد سيه بريس" و"أفريكا وورلد بريس" في ترنتن بولاية نيو جيرزي الأمريكية، يونيو 2010.

عنوان الموقع الإلكتروني: <http://www.raihani.ma>

العنوان البريدي: ص.ب 251، مدينة القصر الكبير 92150 / المغرب